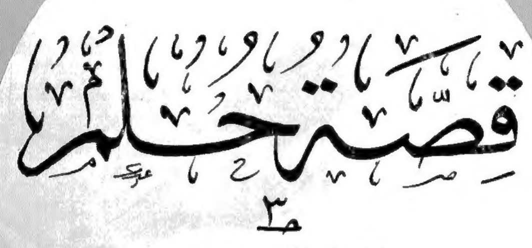
سلسلة القصص
القرآني للأطفال



قصة حلم

٣

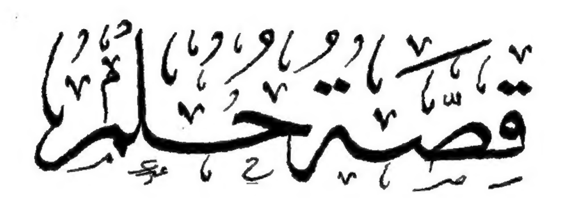
بقلم د/ محمد عبد العظيم

مراجعة وتحقيق قسم التحقيق بالدار


دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

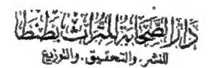


سلسلة القصص
القرآني للأطفال



بقلم د/ محمد عبد العظيم

مراجعة وتحقيق قسم التحقيق بالدار



لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات :

طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت : ٣٣١٥٨٧ ص.ب : ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

استيقظ الشيخ الكبير من نومه يسبح الله تعالى ويستغفره ...

واعتدل فى مجلسه محدقاً فى الأفق الممتد عبر خصاص النافذة ...

وسرح فكره فيما رآه هذه الليلة فى منامه

كانت رؤيا عجيبة ..

أهى أضغاث أحلام ؟!!

أم تهويمات شيطان ؟!!

أم خيال تصنعه الجن فى منام الإنسان ؟

أخذ يحدث نفسه بهذه الأحاديث ..

ثم استفاق ليتفل عن يساره ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم..(١)

وقام إلى شنة (٢) الماء المعلقة فى طرف الغرفة التى يقطنها ..

فتوضأ وأحسن الوضوء ، ثم قام فانخرط فى صلاته اليومية ..

(١) أمرنا الرسول ﷺ إذا رأى أحدنا رؤيا سوء أن يتفل عن يساره ثلاثاً ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم

(٢) شنة الماء : قربة الماء الصغيرة كالقلة مثلاً .

وخرج بعدها .. يضرب في الأرض يدعو الناس إلـى ديـن ربهـم – الإسلام –(١)

ويلقي على أتباعه آخر ما أنزل عليه من الصحف التي يوحي الله تعالى بها إليه ..

حتى إذا جن الليل (٢) أوى إلى فراشه بعد أن صلى صلاة المساء ..

وأخلد إلى النوم ..

وما لبث أن هب من نومه فجأة ..

لقد عرض له في منامه ما عرض له ليلة الأمس ..

نفس الرؤية ...

وذات الأحداث التي شاهدها في رؤى الأمس ..

لم يغب عنها مشهد من المشاهد .. بترتيب الأحداث وقعت ..

كأنما أعيد تمثيلها بدقة ومهارة ..

زاغ بصر الشيخ وأخذ يبسمل ويحوقل(٣)، ويستعيذ بالله من الشيطان

---

(١) الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء، الدين الذي ارتضاه للناس منذ آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(٢) جن : الليل : أظلم .

(٣) يبسمل : يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . ويحوقل : أي يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الرجيم ..

ثم تفل عن يساره ثلاثاً .

وقام إلى وضوئه ، فتوضأ ثم انصرف إلى صلاته، وأقبل على ذكره وتلاوته ..



وخرج يواصل دعوته إلى الله تعالى .

ثم دهمه الليل ، فدخل فراشه وأسلم نفسه لسلطان النوم ، وفى الحقيقة أنه لا سلطان للنوم عليه ، فعينه نائمة ، وقلبه دائما يقظان (١)

(١) فى الحديث النبوى فى قصة الإسراء الطويل عن أنس رضى الله عنه وفيه : « وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » ، والحديث صحيح : أخرجه البخارى (١٣ / ٤٧٨) .

وما لبث أن أتاه فى الرؤيا نفس الداعى .. كان الداعى - فى كل مرة - يأمره بذبح ابنه قائلاً :

اذبح ولدك إسماعيل .. تكرر هذا النداء لثلاث ليال متواليات، فى المرتين الأوليين ظن الشيخ أنه وسوسة شيطان ، ومحاولة إبليس التسلل إلى منامات الرجل ، لكن المرة الثالثة .. أكدت أن الأمر أمر وحى من الله ، وأنه لا دخل للشيطان فيه ..

وتذكر الرجل أن :« رؤيا الأنبياء وحى » (١)

فنهض الشيخ من نومه ..

ونفض عن نفسه وعثاء النوم ..

وانصرف إلى صلاة النهار ..

وقرر فى نفسه أمرًا !!



(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١ / ٢٣٩) .

عزم الشيخ على الرحيل

لم يكن الشيخ إلا نبى الله الخليل إبراهيم أبا الأنبياء ، وكان الأمر يتعلق بولده « إسماعيل »!!

أين إسماعيل إذن ؟

إنه هناك على مسيرة آلاف الأميال .. مسافة شاسعة ..

دونها الأهوال ، والرياح ، والرمال ، وحر الشمس ، وقر البرد ..

لكن شوقه إلى ابنه البكر « إسماعيل » كان يهون عليه مراحل الطريق ومشاق الصحراء .

وحمل الشيخ متاعه القليل ،وزاده اليسير ، واصطحب عصاه التى كانت لا تفارقه معه ..

ومضى يضرب فى الأرض .. صوب بيت الله الحرام ..

يحدوه الشوق إلى ولده ..

ويؤنسه ذكر الله الدائم ، وتفكره فى نعم الله وملكوته ...

ومضى الشيخ العجوز بهمة الفتيان ، وعزم الشباب .. يقطع الفيافى(١) ، والقفار (٢).. ومع كل ربوة(٣) ، يذكر ولده .. ويتخيل رسمه

---

(١) الفيافى : الصحارى .

(٢) القفار : جمع قفر ، وهى الأرض التى لا ماء فيها ولا زرع .

(٣) الربوة : المكان المرتفع .

وجسده .

ترى كيف أصبح الآن ؟

زمن طويل مضى منذ أن رآه آخر مرة طفلاً يحبو بين يدى أمه ...

صغيراً لا يدرك الأشياء من حوله ..

قطعة من كبدى !! بضعة منى .. ولدى إسماعيل ..

سيحمل من بعدى ميراث النبوة !! وهذا ما كنت أرغب وأود ،ولا أحمل في الدنيا هماً سوى أن أدعو إلى الله

هذه رسالتى ..

وأود أن يرثنى من يدعو إلى الله ..ويحمل مشعل الإسلام ...

آه ... الإسلام الحنيف ..

دين الله فى الأرض وفى السماء (١)

الحمد لله،لقد استجاب الله دعائى الذى كنت أردده ..

﴿ رب هب لى من الصالحين ﴾(٢)

ورزقنى الله بإسماعيل ..

---

(١) الدين الذى ارتضاه الله وتفى كل دين أو ملة أو نحلة غيره (إن الدين عند الله الإسلام) .

(٢) سورة الصافات : الآية (١٠٠)

طفل جميل المحيا .. حليم الطباع والخلق

أحمد الله أن رزقني به ..

وأحمد الله أن حملت هذا الطفل إلى تلك البقعة المباركة..

إلى بيت الله الحرام

لهذا أمرني الله تعالى - بوحي منه - أن أحمل ولدي الوحيد إسماعيل ، ليقيم هناك لعل ذلك يكون استجابة لدعائي ، حين تركته هو وأمه في هذه البقعة المباركة .

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (1)

إن بيت الله المحرم .. كان موجوداً منذ الآف السنين لكن معالم البيت قد طمست ..

ولعل إتياني بولدي إسماعيل يكون وراءه إعمار هذا البيت ، وإعادة رفع قواعده ..

---

(1) سورة إبراهيم : الآية :(٣٧).

لك الحمد يا واهب النعم ، يا رازق الخلق ، يا واسع الفضل ..

لك الحمد يا خالق الكون ، يا رافع السماوات بلا عمد ..

وباسط الأرض بالجبال كالوتد ..

احفظ ولدى إسماعيل ..واجعله الوارث للدين الأقوم

بارك يا رب فى ذريته ..واجعل من نسله من يحمل لواء الدعوة إلى دينك

أشرف الشيخ الجليل على الوادى،كان ضوء النهار قد بدأ يشق عباءة الليل البهيم(١) ، متسللاً ، يفاجئ الكون بنوره الأبيض المغموس فى ندى الفجر..

أدى الشيخ صلاة الصبح ، ومضى يردد أذكار الصباح وأدعيته ..

وأخذ يسبح بحمد الله ويشكره على نعمائه ..

وفجأة عن(٢) له ما كان يحاول أن يؤجل التفكير فيه . فى رؤيا الليالى الثلاث ..

اذبح ولدك ، نداء خفى سمعه فى الرؤيا..

اذبح ولدك ..

---

(١) يشق عباءة الليل البهيم : يكشف أستاره ، ويبدد ظلماته.

(٢) عنَّ له : ظهر له.

كيف ذلك وليس لى غير ولد واحد ..إسماعيل !!

وتذكر ثانية أن رؤيا الأنبياء حق ..ووحى .

إنه أمر واجب التنفيذ.

اذبح ولدك .. فرض عليه

كإقام الصلاة .. وإيتاء الزكاة .. والصوم ..

كفرائض الله المفروضة واجبة التنفيذ والممارسة ..

لا مجال إذن للتأويل ، أو التفسير ، أو التعليل !!

اذبح ولدك ..

سيكون هناك ذبيح اذن ولن يكون غير إسماعيل .

وسيكون هناك ذابح – يقوم بعملية الذبح – ولن يكون غير إبراهيم الشيخ الكبير ..صاحب السنين التسعين.. الذى رزق بإسماعيل على شوق ودعاء وتمن!!

وسيكون هناك السكين .. ذات الشفرة الطويلة العريضة المسنونة !!

وسيراق دم أحمر قان ، يجرى بين صخور الوادى

يتسلل بين حبات الرمل الأصفر.

يتشرب رمل الوادى دم الذبيح الغالى إسماعيل!!

أمرك يا صاحب الأمر ..

ولم ؟

أيحق لإبراهيم أن يسأل هذا السؤال ؟

لم ؟لا !!غير مسموح بالسؤال..

ففي السؤال هنا اعتراض !

والاعتراض جريمة

تخرج صاحبه من ديوان الملك الديان ..

من قبل ..

سأل إبراهيم .

لكن لم يسأل لم ؟!!

بل سأل كيف ؟!!

والسؤال بكيف لا مؤاخذة فيه ؟ يسأل ليعرف ! لا ليعترض ..

قال لربه: ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ (١)

ولأنه يريد أن يعرف ..عرفه ربه .. °

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٠) .

عرض عليه مشهد البعث بعد الموت أجرى له مشهدا صغيرا يرى فيه ابراهيم كيف يحيي الله الموتى ..

قال له ربه :

﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (١)

هكذا ..جاء إليه أمر ربه ..

خذ أربعة من الطيور..واذبحهن ، وقطعهن ثم وزع أجسادهن .. على كل جبل منهن جزءاً ..

وبعد أن تنتهي من هذه المهمة ..ادع الطيور أن تأتي إليك ..وانظر ماذا ترى !!

ونفذ إبراهيم الأمر ..

وذبح الطيور ثم قطعها وخلط أجزاءها ووضع كل جزء من هذه الأجزاء على جبل

ودعنا نتخيل الأمر ،

لو أنه ذبح ديكاً ، وحمامة ، وغراباً ، ونسراً مثلاً ..

وسيضع رقبة الديك مع جسد الحمامة ، وأرجل الحمامة مع جسد

---

(١) سورة : البقرة : الآية (٢٦٠) .

الغراب ، وذيل النسر وجناحاه مع جسد الديك، فيصبح جسد كل طير خليطًا من أجساد الطيور الأخرى..

أى تضيع معالمه ، ويتغير تكوينه ، ثم يدعو إبراهيم الطيور ..

وينظر ماذا يكون الأمر بعد ذلك .

ودعا إبراهيم عليه السلام الطيور.

فأقبلت تسعى ..

اجتمع كل جزء بجسده هو ..

فطارت أجزاء الحمامة مع طائرها ، وكذلك غيرها من سائر الطيور، وما إن دعاها إبراهيم عليه السلام ، حتى طارت إليه ، من على كل جبل أقبلت تسعى ..

وهنا قرَّ فى يقين إبراهيم الخليل أن الله على كل شىء قدير

* * *

لكن إبراهيم حين جاءه الأمر الإلهى :

اذبح ولدك

لم يسأل لم ، ولا كيف ؟!!

إنما نهض من فوره ، وحمل عصاه ، وتوجه تلقاء الوادى المبارك (١)

(١) المقصود بالوادى المبارك : مكة المكرمة .

يحدوه شـوق جارف ، وحنين بالغ إلى ولده ..ولده الوحيد ، الحبيب .. قرة عينه ، دعوته لربه ، أعز ما رزق بعد الإسلام !

سيذبـح ولده الحبـيب .. قـرة عـينه ، دعـوته لربه ، أعز مـا رزق بعـد الإسلام !

سيخـرج قلبه من بين ضلوعه ، ويلقيه على صـخرة ناتئة(١) فى حضن الجبل ، ويمر على عنقه بالسكين

آه ...

أتراه عشق الولد إلى هذا الحد ؟!!

أتراه شغل به إلى حد جعل ربه يأمره بذبحه ؟!!

أتراه ؟!!

آه !!

إن ربه عز وجل إذن لا يريد لقلبه أن ينشغل بشىء عنه حتى ولو كان ولده الوحيد ، عفوك يارب !

سامحنى يا ملك السموات والأرض..

الولد هو القلب الواجف ، والكبـد الساكن فى جنب الإنـسان الأيمن لكن الله فى قلب المؤمن أكبر من الولد ومن المتاع.

---

(١) ناتئة : بارزة .

والله عز وجل فى قلب النبى المرسل أعز من كل الدنيا ، ويجب ألا يكون لله شريك فى قلب النبى ، لهـذا كان أمر الله تعالى لنبيه الخليل

اذبح ولدك !!

لماذا؟

ليخلص قلبه لله عز وجل

فلا ولد ، ولا زوجة ، ولا شىء من متاع الدنيا ..

وامتثل الخليل ليضرب لنا المثل ، ويعطى لنا القدوة فى الامتثال لأمر الله .. سبحانه ..

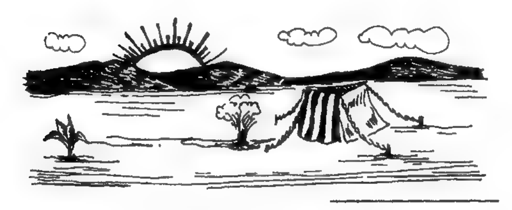
* * *



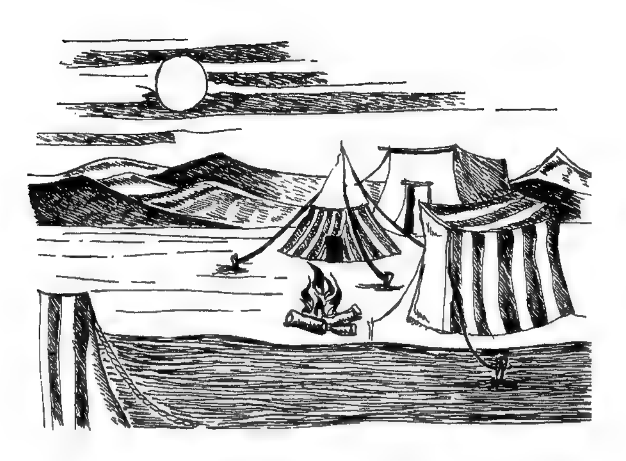
على مشارف الوادي !!

ظهرت مضارب الخيام لقبيلة جرهم العربية ، وعلى مقربة من بئر زمزم كانت هناك خيمة فريدة تسكنها سيدة جليلة ، وولدها الشاب اليافع ..

لم تكن تلك السيدة سوى « هاجر المصرية » (١) التي قدم بها الخليل إبراهيم من مصر ، وقد أهداها الملك لسارة فوهبتها لزوجها إبراهيم فتزوجها ، وأنجب منها « إسماعيل » وأمره ربه بالارتحال إلى بيته .. فحمل ولده وصحب زوجه هاجر إلى الوادي المبارك ، إلى مكة ، حيث شهد هذا الوادي في حضرة السيدة وولدها « إسماعيل» معجزة انبثاق بئر زمزم تحت قدمي إسماعيل ..



(١) انظر كتابنا (هاجر المصرية) للمؤلف إصدار دار الصحابة للتراث بطنطا .
وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١ / ١٣٢ ، ١٣٣) .



وتوالت الأحداث

فسكن الجرهميون (١) إلى جوار البئر باتفاق مع السيدة هاجر ، على أن يسكنوا إلى جوارها ، فرضيت بذلك على أن لا يكون لهم حق فى الماء (٢)

وكبر الفتى فى حضن أمه ، وجوار « جرهم » فرضع لبن التوحيد والإيمان من أمه ، وتكلم بلسان عربى مبين ، تعلمه من رجال القبيلة وأهلها !!

* * *

(١) الجرهميون : قوم منسوبون إلى قبيلة جرهم .

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى كتابنا (هاجر المصرية) للمؤلف وإصدار دار الصحابة للتراث بطنطا

وصل الخليل إبراهيم ..

وكان لقاءً حاراً

اشتركت فيه الزوجة الوفية ، التقية المخلصة ..

فبثت لواعج شوقها (١) لزوجها الشيخ النبي ، وهي تعلم مسئولياته الرسالية ، وواجباته النبوية ..

والابن المشتاق الى والده ، الذى نشأ وهو يتخيل صورة والده الشيخ كما كانت تحدثه أمه عنه .

واطمأن الشيخ إلى أحوال ولده وزوجه وإلى طريقة عيشهم ، وحياتهم وإلى تحقق دعائه الضارع إلى الله فيهم .

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (٢)

---

(١) لواعج شوقها : شدة حبها .

(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٧) .

فوجد قبيلة جرهم التى سكنت بجوارهم أحرص الناس على حماية ابنه وزوجه بأفئدتهم وأرواحهم ..

ووجد الماء ، والزرع والثمار ..

ووجد الإيمان ، والتقوى ، وتوحيد الله عز وجل تحمل لواءه زوجة مؤمنة برسالة زوجها ، وولد يمشى على خطى أبيه ﷺ فحمد الله تعالى ، وشكر فضله .

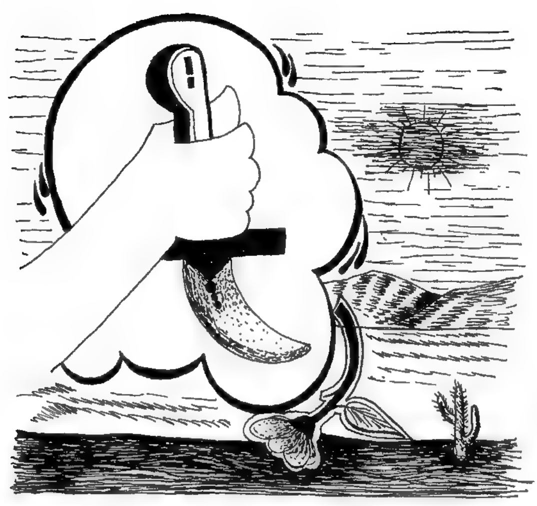
وانتهت مراسم اللقاء الحار..

وآن لإبراهيم أن ينفذ مهمته ، ويصدع بأمر ربه ..

فاستأذن أمه فى الخروج بابنه..

واصطحب ولده معه .. وخرجا خارج نطاق الخيام





ودار حديث لو سمعه أحد يسير بجوارهما لتعجب من أمرهما عجباً شديداً

فلنستمع إلى هذا الحوار!

إبراهيم: يا بنى!

إسماعيل: لبيك أبى

إبراهيم: قد عرض لى أمر أرجو أن تعينني عليه!

قال إسماعيل : سمعاً وطاعة يا أبت .

قال إبراهيم : إن الله قد أمرني أ ن أذبحك !!

﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ (١)

قال إسماعيل دون تردد : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ (٢)

الله أكبر !!

ما هذا ؟!!

إن الأمر أخطر مما نتصور .. وأعظم من أن يستوعبه عقل !

رجل يحدث ولده في أمر ذبحه !!

والولد يقول لأبيه : افعل ما تؤمر ...

فلا هو مطلب طبيعي ، ولا هو رد ولد صغير !!

فما هي القضية إذن ؟!!

---

(١) سورة الصافات الآية (١٠٢) .

(٢) سورة الصافات الآية (١٠٢) .

ليكن هذا هو السؤال !!

والجواب ..

إننا كنا سنظن بالرجل وابنه سوءاً لو أنهما كانا شخصين من عامة الناس..

أما والأمر يتعلق بنبى الله ، خليل الرحمن إبراهيم ، وبولده إسماعيل ، الذى يعده ربه للنبوة والرسالة فالأمر يختلف ..

فالبنسبة لإبراهيم خليل الله ..

فلقد تلقى الأمر من الله ، فامتثل لأمر ربه امتثال من يعرف قدر ربه ،ومن يعرف حلاوة الامتثال ، وواجب العبد تجاه ربه ..

ولقد كان من الممكن أن يقوم الخليل إبراهيم بالامتثال لأمر الله دون أن يرجع فى ذلك إلى ابنه ، فيستل السكين ، ويطعن ابنه امتثالاً لأمر الله سبحانه ، دون أن يحس ابنه ، أو يأخذ رأيه !!

لكن الأمر ليس اغتيالا ، ولا مجرد ذبح ، إنه يتعلق بالامتثال لأوامر الله .. وإعطاء القدوة للناس فى هذا الامتثال .

فترى هنا أن الخليل إبراهيم يريد أن يذوق ولده حلاوة الامتثال ، وحلاوة الطاعة كما عرفها هو وذاقها ، وأحس بها ..

أما إسماعيل ..

فإنه لم يمتثل لأمر الله ادعاءً للبطولة وإظهاراً للشجاعة ..

إنما كان امتثال الفاهم لأوامر الله الواجبة التنفيذ .

الفاهم لطبيعة العبد الذى لن يستطيع الصبر على طاعة الله إلا إذا أعانه ربه .

ويعجبنى هنا .. قول إسماعيل لأبيه :

﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (١)

نعم : إن شاء الله ..

فلا شيء فى الكون إلا بمشيئة الله ، وطاعة العبد هى من المقسومات من الرزق ، ولقد أطلعنا على ذلك سيد الأنبياء محمد ﷺ حين كان يسأل

---

(١) قال صاحب التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب : إنما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن ، وأنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله

ربه بهذا الدعاء عقب كل صلاة :

« اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك »(1)

أو يقول : « اللهم إني أسألك الهدى ، والتقى ، والعفاف ، والغنى» (2)

وكان يطلب من الله العون والرزق الحلال هكذا :

«أعنى »

و« ارزقنى »

كلمتان هما منهاج المؤمن فى طاعته لربه ، يطيع ربه وهو يعلم أن الطاعة ليست من اجتهاد الفرد بقدر ما هى توفيق من الله سبحانه، وعطاء منه ومنحة ..

فالأدب العالى « لإسماعيل » عليه السلام يقرر ذلك :

﴿ ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ (3)

(1) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (١٥٢٢) .

(2) حديث صحيح : أخرجه الترمذى (٣٤٨٩) .

(3) سورة الصافات : الآية (١٠٢) .

وكل الصالحين والعباد المجتهدين يقررون ذلك ويردون استطاعتهم فى الطاعة إلى خالقهم .

قال الرجل الصالح الذى عرض على موسى أن يزوجه ابنته :

﴿ إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ﴾ (٢)

انظر - ستجدنى إن شاء الله -

﴿ إن شاء الله من الصالحين ﴾ .

أى لن أكون صالحا معك إلا إذا شاء الله وأعاننى على ذلك ..

هذه هى أخلاق الصالحين .

* * *

---

(١) سورة القصص : الآية (٢٧) .

فإسمـاعيل قـد امتثل لـلأمر لا طاعـة لوالده ولا ادعـاء لـلبطولة والشجاعة ، إنما امتثالاً لأمر الله ، وطاعة له واستعدادا لهذه الطاعة بصبر.

واحتسـابًا للأجر ، وطلبـا للرضـوان الأعلى ، فنحن أمام مـوقف فى تاريخ الرجال ، لم يشهد التاريخ مثله !!

* * *

وأسلم الاثنان ..

واستسلما لأمر الله تعالى ..

استسلما عن رضى ، وقناعة ، وحب ، وسرور ، بهذا الاستسلام لله رب العالمين ..

فى مكان بالقرب من الكعبة ..

وبعيداً عن تطفل الناس ..

اتخذ الخليل إبراهيم وولده إسماعيل طريقهما لتنفيذ أمر الله !!

يا لله ... يالروعة الإيمان !!

كأنى بهما وهما يسعيان لتنفيذ أمر الله يعرضان علينا هذا المشهد ..

إبراهيم عليـه السلام يحمل سكيناً طويلـة ، حادة قد انعكست أشـعة الشمس على نصلها ، فتأخذ بالأبصار.

وإلى جواره ولده إسماعيل يمشى فى ثبات وشجاعة وصبر .. كأنه

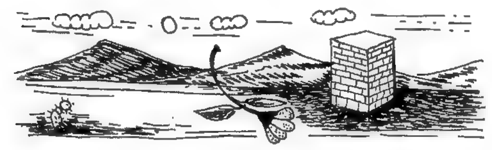
يساق إلى عرسه ، أو يزف إلى عروسه ..

أهكذا شعور من يساق إلى الذبح ؟!!

نرى كثيراً ممن يساقون للمشنقة أو الإعدام ينهارون .. ويجرجرون أقدامهم فزعًا ورعبًا وانهياراً ..

لكن طائفة من الناس يتمتعون برباطة جأش وعلو همة ، وشموخ رأس وهم يساقون إلى الموت !! إنهم الصديقون أو الشهداء ..

إنهم يختلفون عن كل الناس فى إقبالهم على الموت ، ذلك لأنهم ينظرون إلى هذا الأمر على أنه يقربهم من لقاء الله .. فيلقون عنده الجزاء الأوفى ، فما الذى جعل ذلك الفتى الغض إسماعيل يقدم على ساحة الموت بهذه الروح الوثابة ، وذلك الإقدام الشجاع..



إنها حلاوة الإيمان بالله ..

إنها حلاوة طاعة الله فى نفس المؤمن

إنها استشعار حب الله الأعلى ..

والنظر إلى ما عنده فهو خير وأبقى ..

روح لا يستشعرها إلا من ذاق هذه الحلاوة فى لحظات يقترب فيها الإنسان من ربه ..

يقول المفسرون :

إن الذبيح قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه:

يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك (١) لئلا ينتضح عليها شيء من دمى ، فتراه أمى فتحزن ، وأسرع مر السكين على حلقى ليكون الموت أهون على ، واقذفنى للوجه (أى ضعنى على وجهى) ، لئلا تنظر إلى وجهى فترحمنى ،ولئلا أنظر إلى الشفرة فأجزع ، وإذا أتيت إلى أمى فأقرئها منى السلام !! (٢)

وهكذا ..

كان هذا الاستعداد العبقرى ، المتفرد فى تنفيذ أمر الله تعالى ، مهما كانت قسوته وشدته ..

وهل سمعت البشرية بمثل هذا الامتثال إلا فى صفوف الأنبياء والمرسلين ؟!!

إنه امتثال للأمر دون النظر إلى ماهية هذا الأمر ، وماذا يكون وراءه .

---

(١) أى اجمعها ..

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ ، ١٦ ط . الهيئة العامة للكتاب بمصر.

امتثال لطبيعة العلاقة – المفروضة – بين الله رب الكون ، وبين النبى رسول الله إلى هذا الكون ..

بمعنى .. إذا قال ربنا :

عبدى !!

قال العبد : لبيك يا الله ..

فيأمره ربنا :

أفعل كذا ..

فيمتثل العبد دون مناقشة ، ودون تعليق ..

سمعنا وأطعنا ..

ذلك نهج الصالحين ، ودين الأنبياء ، والتزام عباد الله المتقين .

روى الإمام أحمد (رضى الله عنه) فى مسنده :

لما أمر إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى

فسابقه فسبقه إبراهيم

ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة

فعرض له الشيطان .

فرماه بسبع حصيات حتى ذهب .

ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات ، وثَمَّ[1] تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له :

يا أبت ، إنه ليس لى ثوب تكفنني فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفنني فيه..

فعالجه ليخلعه ..

فنودى من خلفه :

﴿ أنْ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾

فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن (٢)

فانظر ..

جهز إبراهيم ولده للذبح .. واستعد ولده إسماعيل للذبح ..

ويدا من الاثنين عزمهما على تنفيذ أمر الله تعالى، ولو أدى ذلك إلى ذبح إسماعيل.. فلما اطلع الله تعالى -وهو أعلم- على صدق طويتهما وسلامة قصدهما ، وحرصهما على التلبية ..

جاءه النداء من قبل الله تعالى

﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا .. ﴾

(١) ثم : هناك . وتلة للجبين : ألقاه على وجهه .

(٢) مسند الإمام أحمد (١ / ٢٩٧) تفسير الطبرى (٢٣ / ٥٧) وتفسير الحافظ ابن كثير ج ٧ / ٢٤ ط دار الشعب بالقاهرة ..

أى حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك [1]

﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ [2]

أى : هكذا نصرف عـــمن أطاعنا المكاره والشـدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا ، كقوله تعالى :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدراً ﴾ [3]

* * *

وهكذا ، تحقق حلم إبراهيم ، وصـدق الله ، فصدقه وكـافأه هو وابنه بذبح عظيم ، وصارت حادثتهما من العبادات التى يتعبد بها ..

– فرمى الجمرات من شعائر الحج .

– وذبح الهـدى والأضاحى فى عيد الأضحى من مناســك الله .. وشعائره ..

وصارت حـادثتهمـا مثلاً فى الامـتثال التـام لأمر الله تعالى ، وطاعـته طاعة مطلقة ، وصلى الله على النبيين المحسنين إبراهيم خليل الله وإسماعيل صادق الوعد جد العرب أجمعين.

ولله الحمد والمنة ، وعليه التوكل وإليه حسن القصد ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

فى ربيع الآخر ١٤١٤ هـ / سبتمبر ١٩٩٣م

د/ محمد عبد العظيم عطية

(١) تفسير ابن كثير ج ٧ / ٢٤ ط دار الشعب . (٢) سورة الصافات الآية : ١٠٥ .
(٣) سورة الطلاق آية (٢ ، ٣) .

I. S. B. N 977 - 272 - 176 - 7 رقم الإيداع : ٩٣/١١٠٦٣

صدر حديثاً



بقلم د/ محمد عبد العظيم

مراجعة وتحقيق قسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر . والتحقيق . والتوزيع

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت - ٣٢١٥٨٧ ص . ب ٤٧٧